ط – ٢(معدلة ومزيدة)

العنوان

وقفات مع حادثة التدافع في منى

كتبه
صالح بن محمد السويح
١٤٣٦/١٢/١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد سمع الجميع بما وقع في يوم عيد الأضحى في هذه السنة السادسة والثلاثين بعد الأربعمائة والألف في منى حيث وقع تدافع بين الحجاج ووقع على إثره وفاة ما يزيد على السبعمائة حاج، وإصابة أكثر من ذلك، وإنه قد آلمنا هذا الحدث أشد الإيلام إلا أننا لا نقول إلا ما يرضي ربنا إنا لله وإنا إليه راجعون.

لنا مع هذه الحادثة أربع وقفات على النحو التالي :

الوقفة الأولى : ما وقع هو بقضاء الله وقدره.

الوقفة الثانية : الوقوف مع ولاة الأمر في السراء والضراء.

الوقفة الثالثة: النقد حقه وباطله.

الوقفة الرابعة : الحذر من الشائعات بثها وتناقلها.

نفع الله بذلك وضاعف المثوبة ورزقنا الصواب والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الوقفة الأولى

ما وقع هو بقضاء اللّه وقدره

إن ما وقع هو بقضاء الله وقدره، ولا راد لقضاء الله فما من كبيرة ولا صغيرة تقع إلا وقد علم الله بها وكتبها وشاءها وخلقها، قال الله تعالى : {إنا كل شيء خلقناه بقدر }[القمر: ٤٩] وقال تعالى : {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في السماء إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير}[الحديد :٢٢] وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة))، فوقوع المصائب والأحداث الجسيمة لا يزيد المسلم إلا إيمانا بالله وتسليما لقضائه وقدره، فما قدر الله كان وما لم يقدر لم يكن، روى الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: ((يا غلام إني أعلمك كلمات: أحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)).

***

الوقفة الثانية

الوقوف مع ولاة الأمر في السراء والضراء

إن المسلم الصادق السائر على نهج النبوة ومنار السلف يكون مع ولي الأمر بالحق، في السراء والضراء دل على هذا ما رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مما أخذ علينا أن ((بايعنا على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وعلى أثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)).

فمن السراء ما يكون في حال القوة للدولة والرغبة في السمع والطاعة والنشاط لها، وحال الضراء ما يكون في حال العسر كأن يكون في حال مكره من السمع والطاعة مثل حال فقر الدولة والضعف أو حال الاستئثار وغير ذلك.

وولاة أمرنا مسلمون يقيمون فينا كتاب الله، وما ادخروا جهدا إلا وقد بذلوه في سبيل نصر الإسلام والمسلمين وإعزازنا، والكمال لله تعالى.

فالواجب أن نكون مع ولاة أمرنا وفي صفهم بالحق لا مداهنة ولا تزلفا ولا نكون حالنا ممن إذا أعطي رضي وإذا لم يعط سخط فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)) وذكر منهم ((رجل بايع

إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها رضي وإن لم يعطه منها سخط))، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، وطوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرّة قدماه، إن كان في الحراسة فهو في الحراسة وإن كان في الساقة فهو في الساقة، وإن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع له)).

فالمسلم يسمع ويطيع لولي الأمر في غير معصية الله تعبدا لله وديانة له، وانقيادا لأمره لا لأجل أن ولي الأمر من قبيلته، أو من حزبه، أو من لونه، أو من جنسه، بل لأن الله أمره بذلك ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الحديث عند الترمذي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد)) وفي رواية، ((عبد حبشي)) وفي رواية ((كان رأسه زبيبة)) وفي رواية ((مجدع الأطراف).

ومن مقتضي السمع والطاعة والبيعة لولي الأمر أن يحب المسلم لولي أمره ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه، ويحب اجتماع الناس عليه، وتآلف قلوبهم عليه.

ومن مقتضى السمع والطاعة و البيعة لولي الأمر أن يحذر من كل سبب يورث التثبيط عن طاعته أو الضغينة عليه أو إحداث الفتنة والفرقة والشقاق والنزاع.

وإنني قد لا حظت في هذه الحادثة أن من الناس من يسارع في التثبيط عن ولي الأمر والاصطفاف مع أعداء هذه الدولة المسلمة في نقده غير البناء لجهود الدولة المبذولة للحجاج فيصطف مع دولة الشرك و الرفض المجوسية، و مع الحوثين ومع ما يسمى بحزب الله ويصطف مع غيرهم من أعداء هذا البلد بلد الإسلام.

فهل يليق بمسلم لديه شرف أن يكون مع أعداء هذه البلاد، والله لا يقع هذا إلا من منافق أو عدو أو جاهل أحمق.

إن ولاة أمرنا يبذلون الغالي والنفيس في سبيل خدمة الحجاج والخطأ لا يسلم منه أحد، وهم من أحرص الناس على أن يسير الحج وفق الخطط المدروسة التي يحفظ الله بها أمن الحجاج وسلامتهم، ومع ذلك هم أشد ما يكون على أهل التقصير والتهاون فهم أهل الحزم والعزم لا يتهاونون مع المقصر وإن كان أرفع الناس منصبا، وقد رأينا ذلك في عدة وقائع، فجزاهم الله خيرا.

هذا ليس من كيسي، ولا من جيبي، ولكنه أمر معلوم لكل أحد والشمس لا تحجب بغربال، فالواجب أن نكون مع ولاة أمرنا في العسر واليسر وإن وقع بعض الخطأ منهم فهم بشر إلا أننا يجب أن نستشعر أنهم منا ونحن منهم، وهم أولى بنصحنا وعطفنا، ونحن أولى بنصحهم وعطفهم، كما ثبت في صحيح مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم)) قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال ((لا

ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة)) وولاة أمرنا أحق أن يذاد عنهم ويدافع عنهم وعن هذه البلاد بالنفس، فنفوسنا فداء لديننا ثم فداء لولاة أمرنا الذين يحكموننا بشرع الله، وفداء لبلادنا التي تعلى فيها منارة التوحيد، وتشاد فيها مباني الشريعة.

فليفرحِ الحقدُ مما حل أو وقع **

و ليخسئ الشرُ وجهٌ شاه وامتقع

إن الخبيث و إن أبدى محبته **

مع العدوِ أناخ الرحل و انتفع

إن بان منك قصور راح يذكره **

و إن رأى الخير غطى الوجه والتفع

ألم ير الخير قد ضاءت اشعته **

و الحكم ما قال رب الكون أو شرع

نبني وننشئ للحجاج توسعة **

و الله أكبر كل الكون قد سمع

للدين و الحق نبني دونما كللٍ **

لا نبتغي المدح في فعل ولو سطع

أشار كل بعيد عن تقدمنا **

و نحو كل قريبٍ قُلبنا اتسع

قد بايع الشعب سلمانا و نائبه **

لله قام و للدين الحنيف سعى

فلا تسل عن مليكِ الحزم نعرفه **

إليه مال جميع الشعب واجتمع

فإن يكن بعد هذا القول تكملة **

فقد أتاه صريح الحب واندفع

و المدح في وطن الاسلام مكرمة **

و ساء فعلا ثناءٌ في الذي ابتدع

قد ذل قومٌ بنوا بالشركِ دولتهم **

و اللهُ دولتنا بالدينِ قد رفع

فالحمد لله و الافعال شاهدة **

و الشكر لله نور الحق قد طلع[١]

***

[١] قصيدة قالها الشاعر سامي بن أحمد القاسم من أهالي الشقيق في الأحساء.

الوقفة الثالثة

النقد حقه وباطله

إن البعض ركب موجة هي يركبها أهل الحق وأهل الباطل، وهي موجة (النقد).

إن النقد للخدمات أو المسؤولين أو الوزراء أو ولي الأمر الأعظم له منهجه في الإسلام، فرسول الله صلى الله عليه وسلم مات وما ترك خيرا إلا حث الأمة عليه، ولا ترك شرا إلا حذرها منه، في صحيح مسلم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قيل قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة ؟ فقال : أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو نستنجي باليمين أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو عظم))، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمنا آداب قضاء الحاجة، فهل ترك تعليمنا آداب التعامل مع الأحداث والنوازل ومع ولاة الأمر و المسؤولين، وآداب المطالبة بالحقوق؟ حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا أن من المبادئ الكبرى في الشريعة الإسلامية نصح ولاة الأمر كما في البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يرضى لكم ثلاثا

أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)). و أخرج مسلم في صحيحه عن أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((الدين النصيحة، ثلاثا، فقلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)). وفي المسند وصححه الألباني عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين)).

لكن لنعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لنا أن من أردا أن ينصح لولي الأمر أن يناصحه فيما بينه وبينه أو أمامه؛ لئلا يكون هذا النصح غيبة فيكون سببا لحلول الضغينة بين الناس وبين ولاة الأمر، والحكم مطرد في ذلك مع كل نائب عن ولي الأمر، فالأصل أن يكون النصح سرا كما أخرج أحمد في المسند وابن أبي عاصم في السنة وحسنه الألباني في ظلال الجنة عن عياض بن غنم الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه)) ففي هذا الحديث النهي عن نصح السلطان علانية في حال غيبته، والأمر بنصح السلطان في السر، والأمر بمباشرة الناصح للسلطان المنصوح بنفسه أو بمن

يباشره ويبلغه النصيحة عنه، وفيه بيان أن الناصح لا يملك تغيير المنكر بيده، وإنما تغييره بيد السلطان الذي وقع منه المنكر أو علم به فلم يغيره مما لا سلطان للناصح عليه، فتغييره باللسان هو الواجب عليه وفيه براءة ذمته إلا أن يكون ذي سلطة، فتجاوز هذا الواجب تكلف وتنطع وغلو، وله آثار سيئة على الفرد والمجتمع، وقد أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر، فقال : "إن كنت فاعلاً ولابد ففيما بينك وبينه"ا.هـ[٢].

إن البعض ليخطئ في هذا الباب ويسلك مسلكا لا يثمر خيرا، بل يثمر التجميع والتأليب والإثارة والفوضى، وكان الأولى بالمسلم أن يكف لسانه وأن ينصح ويبلغ نصحه و نقده بالطريقة المعتدلة التي (لا) تجعل الناس في حيص وبيص، فيدخل فيهم من ليس منهم فيدخل الضغينة بينهم ويثيرهم على ولاتهم ويشككهم فيهم مما يحث الشقاق والنزاع، وهذا هو الذي يريده أعداؤُنا أن تضطرب الأمور في هذا البلد وأن لا يثق الناس في ولاتهم ولا في المسؤولين الذين وثق بهم ولاة الأمر.

فليت شعري إذا غرد مغرد في (هاشتاق) أو نحوه من بين ملايين الناس ما أدرى ولي الأمر بنقده؟!

---

[٢] نقله في جامع العلوم والحكم (٨٢/١).

لست ضد إبداء الرأي مادام في فلك الاعتدال ودائرة المباح، فقد أبدى كثير من الناس آراءهم في هذه الحادثة وهذا لا حرج فيه، إنما الحرج في الافتيات على ولاة الأمر وركوب موجة النقد بالباطل ثم تكون هذه الموجة تصب في صالح أعداء هذه البلاد واعداء ولاة أمرنا.

وكان الواجب على الناقد أن يكون بصيرا وأن لا يلقي كلامه على عواهنه فيستغله أعداؤُنا لضربنا بولاة أمرنا وبث حالة من الخوف وعدم الثقة، فهذا ليس من النصح في شيء.

إن هذه الطريقة في النقد والنصح هي عمل الدهماء والبلهاء أبتاع كل ناعق الذي هم مطية للأعداء من الخوارج والرافضة والعلمانيين وغيرهم، فكل ذي هوى يركب هؤلاء الدهماء ويجعلهم يسيرون في صفه ببث أمور قد تثيرهم فيتفرقون بسببها عن ولاتنا وعن صفنا وعن جماعتنا ويفرقون كلمتنا.

***

الوقفة الرابعة

الحذر من الشائعات بثها وتناقلها

إن مما اقترن مع هذه الحادثة بلية كبرى وفتنة عظمى هي وقود الفرقة، وحطب الفتنة، ألا وهي الشائعات.

إن النَّقَلَة للإشاعات هم حمالة الحطب، والأعظم من ذلك أن يحطب أحدهم بليل فلا يدري ما في حطبه من قوارص ودواب تهلكه أو تهلك من حمل الحطب إليه.

إن الشائعات سلاح الأعداء لبث الرعب و الخوف في نفوسنا فلا يليق بأهل العقول أن يكونوا آذنا لأهل الفتن يسمعون وينقلون دون تمحيص أو تمييز، فكم قرأنا في تويتر وسمعنا في مجالسنا ما يحزننا أو يرعبنا من الأخبار التي لا يعلم صحتها فَلِمَ يكون الواحد مهذارا نقالا للكلام والأخبار من غير تريث؟ هذه صفة ذميمة، وقد نهانا الله عنها فقال : {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا}[النساء:٨٣]، فهذا منهج رباني، وهو التثبت والثبات، فلا تعجل فتنجرف مع أهل الشائعات ولا تكن نقالا لها من غير تأكد من صحتها.

إنه لا بد للناس من قاده وساسة ومرجع يرجعون إليه لاسيما في الأمن والخوف فيصدرون عن رأيهم ويأخذون بتوجيههم كولي الأمر الأعظم وأمراء المناطق ومحافظي المحافظات ورؤساء المراكز ومن أولئك شيوخ القبائل، ومن

ذلك من كان له إمارة خاصة كالوزراء ونوابهم وممثليهم، ورؤساء والهيئات الحكومية المختصة ونوابهم وممثليهم، فنحن لسنا في حاجة لأن نأخذ أخبارنا لاسيما مما يتعلق بالأمة أمنها أو خوفها من مجاهيل تويتر، بل نرد ذلك إلى ولاة أمرنا وقادتنا وذوي المسؤولية فينا فننظر فيما يخبرون به، فهم أهل الشأن وأهل العلم بالواقع، وهم الأعلم بالمصالح والمفاسد، فالافتيات عليهم في هذا الباب يهدر مصالح معتبرة شرعا أو يكون سببا في إحداث مفاسد كبيرة كان الأولى درؤها.

إنه لمن الواجب على المسلم أن يحذر من الافتيات على ولاة الأمر لاسيما في مثل هذه الأمور، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) فهذا الحديث قاعدة عظيمة في حفظ وصيانة الدين والدنيا، و أصل عظيم من أصول الأدب فالمسلم المستقيم على أمر الله يترك ما لا يعنيه ولا يلزمه الدخول فيه إلى ما يعنيه فيشغل بالمهم عن غير المهم ويترك فضول الأعمال والأقوال، وبذلك يسلم من كثير من الشرور ويسلم منه غيره، والاشتغال فيما لا يعني يصرف المسلم عما يعنيه ويشتت ذهنه ويصرفه عن طاعة الله إلى ما لا يحبه الله و يرضاه، وقد ورد الأمر بحفظ السمع والبصر والفؤاد واللسان وهذا أمر بالاشتغال فيما يعني ونهي عن الاشتغال بما لا يعني، قال الله تعالى : {ولا تقف ما ليس لك بعه علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً}[الإسراء: ٣٦]، ومما يؤيد ذلك ما في رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: ((من كان

يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرًا أو ليصمت)). وقول الخير هو الذي يعني الإنسان، و أما ما ليس بخير فإنه ينبغي تركه وعدم الاشتغال به. فينبغي للمسلم أن يتأدب بهذا الأدب العظيم وهو ترك نشر الشائعات وأن يحذر من هذه الخصلة الذميمة وهي نشر الشائعات حتى يكون لينة صالحة في المجتمع وليتذكر دائما وأبدا قول الله تعالى : {لولا إذا سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا}[النور :١٢]، وقوله تعالى : {يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين}[النور ١٧]، وليحذر كل الحذر من أولئك الذين يزعمون الإصلاح بمختلف المسميات وهم مصطفون جنبا إلى جنب مع أعداء هذه البلاد من الرافضة والخوارج والمنافقين وغيرهم، فهؤلاء يَدْعُوْنَ في ظاهر أمرهم إلى الإصلاح وقد خُبِرَ أمرهم أنهم لا يريدون يزيدوننا إلا خبالا كما قال تعالى : {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا و لأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة}[التوبة:٤٧]، فينتبه المسلم لهؤلاء ولا يكن غرا تخدعه الشعارات البراقة، والكلمات المزيفة فليحذر أن يكون سماعا لهم كما قال تعالى :{وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين}[التوبة: ٤٧].

تم وصلى الله على نبينا محمد.

حرر في ١٤٣٦/١٢/١١هـ